﴿ تتمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى ـ الدواء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد القاسمي) إننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلتها التي هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصلح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور.

على أن انحصار همة الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولولا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولي) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤيد به سلطة الأمراء العاملين على الاطلاق ؟ فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراءون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركا خفياً من حيث لا يشعرون

فاذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

---

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك في إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا ديانتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستفتي علماؤها أي الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر ؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كغاريبالدي) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لفيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام شتى لاتجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادىء لضاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم مانالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (المحقق المدني) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذي يجول في فكري أن الطامة هي من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن لمثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يتعاظم على نسبة الهمم في تحمل عنائه والقيام بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا إلى هــذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعالين عنهم فتحيلوا للمزاحمة والظهور في مظهر العلماء العظماء بالإغراب في الدين ، وسلوك مسالك الزاهدين ، ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فاقد الجد إلى الـكبر وكما يلجأ قليل المال إلى زينة اللباس والاثاث (مرحى .

فصار هؤلاء المتعالون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم السطر الكريم فيفسرون البسملة أو الباء منها مثلا بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بأخبار لا معنى له أو بحكم لا برهان عليه ثم جاؤا الامة بوراثة اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها وتسنم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالامعان نجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ـ وفي رواية : حذو القذة بالقذة ـ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو فمن ؟ » . وذلك ان هؤلاء المدلسين اقتبسوا ماهنالك كله أو جله عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ومن البابوية ووراثة السر ومن متناهاة مقامات البطارقة والـكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين وصبرهم والرهبنات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهبنة أي التظاهر بالفقر ورسومها والحمية وتوقيتها ورجال الـكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبستهم وشعورهم ومن مراسم الـكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنمات واصولها وإقامة الـكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والمستار من احترام الذخيرة وقدسية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب . وانتزعوا الحقيقة من السر ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والمولد من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصلبان وتعليق ألواح الأسماء المصدرة بالندامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناء أمام الأصنام ومنع الاستهداء من نصوص الـكتاب والسنة من حظر الـكهنة الـكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شبراً شبراً واقتفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحرا جحرا وهكذا إذا تتبعنا البدع الطارئة نجد اكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحرا لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلبية أو العصبية من العامة والأمراء السلسى القياد طبعاً إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثله شيء ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صفيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً (مرحى) .

والحاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطانى وبتزيينهم لهم رسوماً تميل إليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى ولا تابعى ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع انها لا أصل لها فى كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدخول فى الرابطات والعصبيات المنعقدة بين اشياعهم واما الترهيب فبتهديدهم مناوئيهم أو مسيئى الظن بهم باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ضرراً يتعجلهم فى دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق فى بغداد ومصر والشام وتلمسان قديماً ولكن لا كسوقها القائم فى القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هى دين معظم أهلها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يرثوا عنهم أيضاً حتى التوسع فى هذه المخاريق السيئة فاقتبس لهم المدلسون كثيراً مما يعملونه عن ... وإن كان الدين ... زينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه العواصم سرى ذلك إلى الآفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغبياء إلى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم[1] نفوذاً عظيماً به أفسدوا كثيراً فى الدين وبه

---

(١) السحر لغة إخراج الباطل فى صورة الحق بالتمويه والخداع . والسحر ...

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين الذين ترتد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع. وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ربع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما نسمى فى البلاد العثمانية (دعاكوا وطعامية) (مرحى) . وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيعاً للعلم وللدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم فضيع الأكثرون حدود الله وتجاوزوها وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعترام هذا الفتور .

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتمادى لأنواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينبهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلها واهياً (لامتيناً كقواعدالإسلام) بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون فى سبيل ذلك مايتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبذلون ما عز وهان حفظا لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين فى أيدى أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن للنشأ الأصلى لكل فساد فى أخلاق العباد والمنبت الأول لكل شقاء فى بنى حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وخيراً كبيراً ، وأجراً عظيما ؟ وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نبه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهز

= الذى جاء فى الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون فى قوله جلت حكمته « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم» وقوله « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لفارس مغوار نحب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحان أن نتفرق لندرك الصلاة وموعدنا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربيـــة والتعليم

قانون التعليم الرسمى والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسىء الظن بكل عمل يجرى على أيدى المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكثرون بأكثر نتائج الأعمال الاصلاحية النافعة فى الرى والمالية والادارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تمهيد لما يأتى وهو

ان سخط الناس من سير نظارة المعارف فى التعليم جعل شأناً عظيما لاقتراح التوجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومنشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضلها نضال بنى ثعل ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الواثق بحسن عمل ينسب إليه حقيقة أو عرفا بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى فى توجيه أنظارهم إليه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان نقد الناظرين فيه من أسباب ترقيه واتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن فى الحسبان ولا نخوض فى تعليل ذلك مع الخائضين ولكننا نبحث فى دفاعه وتعليله فى مناقشة الجمعية العمومية فى جلسة ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم